

# أثر الحضارة الإسلامية في الأدب التركي

أسامة محمد سليم عطية

مدرس مساعد - قسم اللغة العربية وآدابها

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فإنه لمن دواعي شرفي أن ألقى هذه الكلمة بمناسبة هذه الندوة الكريمة ندوة المظاهر الحضارية المشتركة بين تركيا والعرب.

وفي الحقيقة لا أدري ما سبب ذلك الفصام الذي يحول بين التقارب والتبادل الثقافي بين الشعب التركي والشعب العربي، قد تكون هناك اعتبارات تخرج عن إرادة هذين الشعبين، وهناك من أعمت عيونهم الحضارة الغربية فأخذوا يلهثون خلفها غاضين الطرف عن تبادل ثقافي أكثر عمقا وأخصب تربة.

أقول لقد أصبح من الضروري أن يرفع الستار بين ثقافات الأمة العربية وبين الشعب التركي العريق آخر من كان يمثل الوحدة الإسلامية التي جمعت بين مختلف الشعوب والأعراق وصهرتهم تحت الأخوة الجامعة التي عشنا في ظلها دهورا ننعم بالأمن والأمان مع التركيز على الروابط الفكرية ووحدة المنبع والمهدف، والدعوة إلى التضامن بين الشعوب الإسلامية والعودة إلى المنابع الأصيلة في ثقافتنا الإسلامية العريقة.

إن الأدب التركي دائم الاتصال بالحضارة الإسلامية. نعم لقد اعتنق الترك قبل الإسلام أديانا كثيرة "كالشامانية والمناوية والبوذية والمسيحية، بيد أن واحداً من هذه الأديان لم يمتلك نفوسهم بقدر ما تملكها الإسلام، لقد عاشوا حضارات متعاقبة ولم تؤثر فيهم حضارة بقدر ما أثرت فيهم الحضارة الإسلامية، ويمكن أن نرجع ذلك لأسباب عدة، لاشك أن أهمها كائن في الدين الحنيف ذاته فهو دين السماحة وحب الإنسانية والحق والعدالة.

ولقد أصبح الأدب التركي أكثر شمولاً وعلمية بعد أن كان محلياً، وأصبح مكتوباً ومدوناً بعد أن كان شفويّاً، واتخذت موضوعاته طابعاً إنسانياً عاماً بعد أن كانت لا تعدو مجموعة ترانيم وابتهالات دينية، فقد شرع الأدب يتناول موضوعات علمية وفكرية، ويعبر عن المشاعر والأحاسيس الإنسانية، كما عبر الأدب عن قيم ومفاهيم جديدة تقوم على الخلق الإسلامي. ومن ثم أصبح الأدب التركي كفوّاً لأن يشارك الأدبين الفارسي والعربي في البيئة الجديدة.

وقد تأثر الأدب التركي الإسلامي في نشأته بأسلوب القرآن الكريم، وترتيب فواصله وما بينها من تناغم"، ونتيجة لقداسة القرآن وجلال معانيه رصع الشعراء الأتراك شعرهم بالآيات القرآنية،

وأطلق على هذا النوع من الشعر "الملمعات"، ومن مصادرهم غير القرآن: السيرة النبوية الشريفة، والبطولات الإسلامية، والأدب العربي الذي أخذوا منه: العمود الشعري للقصيدة العربية، والمسمط، والعروض، وأخذوا عن الشعر الفارسي المثنوي - الذي أخذه الفرس عن العرب، وهو فن عربي النشأة عرف باسم المزدوج - كما أخذوا من العرب أيضا الغزل، وشعر المناسبات الإسلامية، وأدب الرحلات والمعارف العامة في القرن الحادي عشر الهجري.

ولقد شارك الشعر التركي الفتوحات الإسلامية العثمانية في هذين القرنين، ومن أشهر قصائد هذه الفترة قصيدة الشاعر محمود عبد الباقي المتخلص (باقي) في رثائه للسلطان سليمان القانوني، التي يقول فيها:

لقد كان سيفك ماضيا على ألسنة الأعداء فأصابهم البكم، وأصبحوا خاضعين

حينما كان طائر الضلالة

يجوب آفاق هذه الصحراء الفانية

جاء سيفك ليفتح السبيل إلى الهدى

وأطلقت فرسانا كانوا كالسيوف

يجوبون أطراف الدنيا

لقد خاضت الدولة العثمانية عددا من المعارك ضد أطماع الدول الأوروبية لم يتخلف الأدب خلالها عن إذكاء أرواح المسلمين بالحماسة لوطنهم. يقول نامق كمال في إحدى مسرحياته التي تصور كيف استطاع الفدائيون استنقاذ إحدى القلاع من حصار الروس:

هاكم العدو أمامكم يحمل السلاح

فهيا يا فتيان إلى نجدة الوطن

إلى الأمام، والفلاح حليفنا

إلى الأمام.. إلى نجدة الوطن

وفي مقطوعة أخرى في المسرحية نفسها يذكر الجنود بأبجاءهم الإسلامية، وما جبل عليه المسلم من شهامة وإقدام على الحرب في سبيل الله حتى يظفر بالشهادة :

هدفنا وتفكيرنا سعادة الوطن

القلعة التي تحمى الحدود

تبنى من تراب الأجساد

نحن العثمانيين زينتنا هي الكفن الدامي

نحن الذين نسعى بالشهادة

نحن الذين نسعد بالمجد إذ نسلم الروح

فلتطلق المدافع وتلف نيرانها الأطراف

لتفتح أبواب الجنة للشهداء من الإخوان

علام حصلنا في هذه الدنيا

حتى نهرب من الموت؟

نحن الذين نسعد بالشهادة

نحن الذين ننال المجد إذ نسلم الروح

لقد برع كثير من الشعراء الترك، وتميزوا بموهبة فنية عالية، وعاطفة فياضة صادقة أمثال الشاعر محمد عاكف الذي دعا في أشعاره إلى تنقية عقيدة المسلمين وتخليصها مما علاها من غبار وشوائب على مر العصور، وقد امتاز شعر عاكف بصدق العاطفة، وبالموهبة الفنية الرائعة التي كثيراً ما نراها تلبس الفكرة ثوباً أدبياً جميلاً يخلو من كل صنعة ولا يتميز بشيء سوى الصدق، يقول:

فلتسل عزيزي القارئ وأنا أجيبك

عن هوية شعري المائل أمامك

إنه حشد من الكلمات فضيلتها الصدق، ليس إلا

لا أعرف الصنعة، فأنا لست بصانع

يقولون "الشعر هو دموع العين"

إنني أراه دموع عجزى

إنني أبكى ولا أستطيع أن أبكى

أحس، وأعجز عن التعبير عن حسي

وها هو الشاعر نجيب فاضل يعبر عن أزمة الإنسان المعاصر

الأمان، يا سيدي الأمان

ترى هل نحن في آخر الزمان ؟

حال بلادي

أسوأ من يوم الطوفان

العين أصبحت لا ترى في وضوح النهار

فقد ارتفع الدخان إلى عنان السماء

وتهرأ بيت الإنسان

ثم انهار وأصبح أنقاضا

تراحم، وتدافع، ونحز لا ينقضي

وأخيرا أقول: إن هناك الكثير من الأدباء والشعراء الترك الذين تأثروا بالحضارة الإسلامية ومبادئها الخالدة، وهم بفكرهم هذا إنما يعبرون عن هويتنا وثقافتنا وحضارتنا، وهم بالطبع يقفون موقفا شجاعا أمام أصحاب الأهواء الذي يترجمون لنا نماذج أدبية تركية لا تعبر عن هويتنا لناظم حكمت وعزيز نسين وغيرهما من الذين يعبرون عن الشرق الملحد أو الغرب العلماني أكثر مما يعبرون عن أشواق تركيا المسلمة التي تحاول أن تنهض من كبوتها، وتستعيد أمجادها الحضارية في السياق الإسلامي كأمة بانية وجدت نفسها في ظلال الإسلام العظيم. وإننا في انتظار المزيد من النصوص الأدبية الإسلامية التركية الصادقة. التي تسهم في التأكيد على هويتنا وثقافتنا.

وفقنا الله وإياكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته